عبد الحق الحلوجي كما عرفته (١)

أنا ميت حــى ، وتــلك تعاســـــنى
لا النـــاس ترضى بى ولا الأمـــوات

فى هذا البيت من الشعر عبر المرحوم الشاعر عبد الحق الحلوجي عن نفسيه أصدق تعبير ، وكشف لنا عن مأساته . وناهيك بها من مأساة . داء عضال يفترس شبابه ، فهو يقترب به من نهايته حثيثا مرهقا ، ويعلو به نحوها فى ألم ، يأمل أن يعيش ، ويأبى مرضه إلا أن يبطش به ، وظل الصراع دائرا دائرا حتى قضى نحبه ، ولقى ربه .

ولد الحلوجي فى اقليم بلبيس بمحافظة الشرقية فى الخامس من يوليو ١٩٤٦ م . وتوفى فى ١٩٨١/١/٦ م . بالاسكندرية .

وفى هذا العمر القصير خمس وثلاثون سنة كان ملء السمع والبصر ، يتدفق ألما وأملا ، ويفيض سعادة وتعاسة .

ولد عبد الحق حليفا للضنك ، وخدنا للشقاء ، فقد ذاق مرارة اليتم ، وظلم ذوى القربى ، وقامت على تربيته والدته ، وهكذا بدأ حياته وحيدا يتيما فقـــيرا .

وإذا اصطلح الفقر والضعف والظلم على إنسان نزل به من القهر ما يذل وذاق من التعاسة مالا يخطر على بال ، وعانى من الويلات ما يثقل كاهل أولى العزم من الرجال .

---

(١) مجلة أمواج ص ٧٨ .

ولربما أدت هذه المعاول مجتمعة عناصر النبوغ فى النابغة ، وحطمت طموحه ، وتطلعه ، وغيرت مجرى حياته ، ولكنها — لدى الشخصية القوية قد تكون مصدر خير ، ودافعا للتفوق ، وحافزا للتألق إذ تخلق تلك الظروف فى نفس العملاق عوامل التحدى ، وتعيد تكوين ملامحه من جديد وتصهره فيغدو خلقا آخر ، يبتلع الشقاء ليخلق سعادة ، ويجتث أشواك الفقر لتزهر ورود اليسار والسعة ، ويحب أيام التعاسة مكونا عالما من الهناء والاقتدار .

فالنفس القوية تتخذ من أعاصير الزمن عوامل اندفاع ، وأساسا للتغيير وتنتصر على سلبيات الزمن وعوامل الفناء ، والنفس الواهنة تستكين مستسلمة وترضخ للهزيمة ، وتضعف حيال النوائب ، وتنهار أمام عقابيل الخطوب .

ولقد كان عبد الحق من الذين جبلوا على التحدى ، وفطروا على المقاومة فلم يستسلم لبطش سرطان يفتك ، ولم يخنع لأغلال الظروف الاجتماعية . بل تحرر من قيود الطبقة ، ولم يرسف فى أطر البيئة ، ذات الميسم الحاد ، وإنما غير أوضاعه ، وقاوم أيامه ، وتغلب على قيوده وجلموده ، وصبر وصابر وأراد أن يكون شيئا . وكان . ولكن إلى حين حتى قضى الله أمرا كان مفعولا

وفى كتاب القرية ظهر تغدقه فهو أكثر لداته حفظا ، وأحرصهم على الحضور والمواظبة ، وأحسنهم استماعا وتلقيا وأخذا عن العريف . والأطفال فى هذه السن — عادة — ما ينفرون من الشيخ ، ويضيقون ذرعا بالانضباط والحفظ ، ولكن عبد الحق الطفل اليتيم كان يقبل على القرآن اقبال المتيم ، ويحفظ حفظ من يبتغى شيئا من وراء ذلك .

وحين تقدمت به السن ، ودخل مدرسة القرية بذ أقرانه ، وتفوق عليهم وكان حديث مدرسيه . وغدا فى المدرسة علما يخطب ويتحدث . وكانت

مواهبه وقدراته تؤهله للدراسة الجامعية ولكن ظروف حياته حالت دون ذلك واضطر بعد حصوله على الاعدادية إلى الالتحاق بمدرسة الصنايع ، وحصل على دبلوم صنايع ، وبحث عن عمل يعوله ، فغادر اقليمه ، ووفد إلى الاسكندرية ووجد عملا فى الشركة الشرقية للكتان بالرأس السوداء . ويخضع لنظام العمل فى الوردية . أى العمل المتغير عن المنتظم . ليجد ما يرد به غائله الزمن ، ويدفع ضراوة الأيام .

وعاش فى الاسكندرية وحيدا ... فقيرا ... مكافحا ... فلم يكن يقطن فى حى راق أو متوسط وإنما سكن أطراف المدينة فى منطقة «القصعى» — بفكتوريا استأجر حجرة متواضعة . ورضى بما هو فيه إذ الحياة لا تختلف إلا قليلا عن القرية . فالفقر باد ومظاهر التخلف واضحة ، والعلاقات الاجتماعية لم تفقد حرارتها ، وإنما يقع التغيير فى بعض العادات والمألوفات ، والتى لا تصيب إلا قشرة هشة فى التكوين الاجتماعى يتعلق بطريقة الحديث ومظاهر اللباس ، ولا يتعمق جوهر الناس .

عرفته — أول ما عرفته — فى الستينيات من هذا القرن حيث نجتمع فى قصور الثقافة نحن شداة الأدب ، وطلاب المعرفة فالقيته شابا ريفيا مثلى ، فيه ما فى ، أحب ما يحب فالتقينا ولم نفترق حتى بعد أن فارقنا جسده .

ويمكن أن نحدد أهم ملامح الحلوجى فى النقاط التالية :—

أولا : حبه للقراءة :

كان عبد الحق الحلوجى — رحمة الله عليه — كلفا بالقراءة ، عاشقا للكتاب يشتريه وإن حرم الزاد ، ويفهمه وإن بدد وقت راحته ، وقراءته

متنوعة ؛ فبينا تراه يقرأ فى الأدب العربى القديم إذا به يطالع فى فهم الأدب الأوربى ، ويأتى على فنون شتى من المعارف ، وقد استفاد من ذلك أعمق استفادة ، فكان ذا رحابة فى النظرة ، وعمق فى التناول ، مع نأى عن السطحية والشيوع .

وحين آنس فى نفسه هذا الميل الغريزى للقراءة ، لم يجد صعوبة ما فى استكمال دراسته ، فتقدم لامتحان الثانوية العامة ، وهو الحاصل على دبلوم صنايع – وحصل عليها متفوقاً وآثر الالتحاق بكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية وكان يبتغى صقل موهبته بالدراسة فى قسم اللغة العربية ، وتحققت أمنيته ، فالتحق بالقسم الذى يهواه ، وكان يعمل مساء ويدرس صباحا ، وظهر تفوقه على لداته فى القسم فهو أفصحهم لسانا ، وأسلمهم عبارة ، ولا ريب فهو شاعر القسم فالكلية ، فالجامعة ، والتفتت إليه أنظار أساتذته ، ونال تقديرهم ورضاهم وحبهم ، بما جبل عليه من أدب جم ، وحياء باد ، وحرص على العلم وتقدير له ، وولع بالقراءة ، وكان متفوقا فى دراسته ، فجاء ترتيبه الأول فى كل سنواته الدراسية ، فعين معيدا بقسم اللغة العربية عن جدارة ، فلم يكن ذا نسب يحميه ، أو مال يبذله ، أو جاه يغرى ، وإنما أهله نبوغه وتفوقه ، والتفاف أساتذته حوله .

وكم من معيد فى قسم اللغة العربية لا يقرأ – إن قرأ – إلا فى تخصصه . أما هذا الفتى فكان يقرأ بفهم ، ويأخذ الثقافة مأخذ الجد والأمانة والالتزام . فمكتبة البلدية بالاسكندرية تعرفه ، وكذلك المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية وأما مكتبة كلية الآداب فكانت بيته الذى يقيم فيه ، ويمكث الأوقات الطوال والساعات الكثيرة .

فأما حبه لقراءة الشعر فحدث عنه ولا حرج . فما رأيت أحدا - على كثرة ما رأيت - يحب قراءة الشعر ويستمتع به استمتاع الحلوجى .

كنا نتنافس فى حفظ التراث العربى ، فيحفظ قصيدة للمتنبى ، وأحفظ قصيدة ويتلوها أحدنا على الآخر تسميعا ، ولا نزال هكذا حتى نحفظ جل شعر أبى الطيب المتنبى وعلى بن العباس «ابن الرومى» والشريف الرضى ، والحسن ابن هانىء «أبى فواس» وكثيرا من الشعر الجاهلى والأموى .

وقد أقصر أو أتكاسل ، أما هو فما رأيته مقصرا ، أو متكاسلا .

وكنت ألتقى به - كثيرا - بعد أن تزوج فى سكنه بمنطقة «الساعة» بالاسكندرية . فماذا كنا نصنع ؟ .

نأتى بديوان شاعر نحبه ، فأقرأ قصيدة ، ويقوم بتسجيلها ، ثم يقرأ قصيدة وأسجلها - وظل ذلك ديدننا حتى سجلنا أكثر شعر سلطان العاشقين ابن النارض ، وأبى الطيب المتنبى ، ورميات أبى فراس ، وقصائد لأبى العلاء . إلى غير ذلك من عيون الشعر العربى .(١)

وكنت أقف عند جلود شعرنا العربى الموروث ، وأما هو فيتخطى ذلك فيبدى اعجابه بالمذهب الجديد فى النظم ، ويحفظ بعض أشعار لنزار قبانى وصلاح عبد الصبور - وبدر شاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتى ، والماغوط وكنت - ولا أزال - لا أحفظ شيئا لهؤلاء . وأن قرأت لهم ، حتى صار من علامات رغبته فى إنهاء الجلسة أن يقول : الآن يطيب لى أن أسجل شعرا لنزار» . فأنصرف عنه .

وكم تعجبت من حبه لنزار ومذهبه فى القول ، وأشتد عليه فى ذلك ومرة

قلت له . ما يعجبك يا مولانا فى نزار ومن على شاكلته؟ فقال بعد أن حدجنى بنظرة ذات مغزى «إن الناس قد لهجوا بذكرهم ، وأنتشر شعرهم — حتى غدوا نجومه فلابد من مسايرة الذوق العام ، ومتابعة شعراء العصر» .

وكان أصدقاؤنا يعرفون ما بيننا مدا وجزرا من حديثنا فحين يتكلم عن نزار يفهم أن بيننا أشياء .

ولم أخاصمه مخاصمة دامت أسابيع إلا حين استقدم إلى قسم اللغة العربية فى عام ١٩٧٧ الشاعر فؤاد بلدوى وأقام له أمسية شعرية خاصة ، واحتفى به احتفاء كبيرا ووافق على ذلك رئيس القسم وكان آنذاك الدكتور السيد مصطفى غازى ولم أحضر الأمسية ، وظللت على موقفى الثائر منه والغاضب عليه ، حتى مرض فكلمته .

فالحلوجى عابد للشعر ، وهو فى تبتله لا يفرق بين وجوه ما يعبد ، إذ العاشق المدله يطرب لرؤية حبيبه وإن بدا شأنها لغيره ، أولا يستحق كل هذا التقدير منه وهو الوحيد من أصدقائنا الذى كتب مقالة ضافية عن الشاعر نزار قبانى ونشرها فى مجلة أمواج (١) تحت عنوان «رحلة مع نزار قبانى» .

وللحلوجى شعر على النمط الحديث . وكان يلقيه فى المحافل وينشره ، وبلغ من شغفه بالشعر أن كان لا يجد أحدا يحب الشعر حتى يهرع إليه يسمعه ويمتعه ، وقبل وفاته بأسبوع واحد ، أنشدنا شعره كلـــه ، وما يحفظ من القريض فقد كنا فى رحلة إلى مدينة بور سعيد فى يناير ١٩٨١ ومعنا أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام . والزملاء . الدكتور السعيد الورقى والدكتور فوزى عيسى ، والدكتورة رشيدة مهران ، والدكتور فوزى أمين . فكان

---

(١) العدد الثانى – يوليو ١٩٧٦ م .

الحلوجى ينتقل بيننا ينشد ، ويسترجع الشعر ، حتى يمل سامعه ، فينتقل إلى آخر ، حتى قال الدكتور فوزى أمين لى : ماذا جرى للحلوجى إنه كالقارىء فى المقابر ، يريد أن يقرأ على أية صورة وبأية وسيلة» . !! فهل كان ذلك جيشان العاطفة الحاد فى نهاية حياته ؟ أم إحساسا بقرب الخاتمة فاستفرغ طاقته وقال فى ليلتين ما يقول الانسان فى سنوات . ؟!!

ثانيا : صفاته وأخلاقه :

كان رحمه الله طويلا ، ممتلىء الجسم فى رشاقة ، يمارس كرة القدم ، ويعالج أنواعا أخرى من الرياضة كالمصارعة ، ورفع الأثقال . وكثيرا ما كان يحمينا ونحن نعبث على رمال الشاطىء فى الاسكندرية .

ثم ذوى عوده ، ونضبت نضارته ، وغارت عيناه ، وغدا طويلا فى نحافة ، وتأخر شعر أسه ، ولم يبق منه سوى جزء صغير فوق القفا ، وذلك من أثر المرض الذى افترسه ، والداء الذى أتى عليه فحل عراه ، وأذاب شحمه ، ولم يبق منه غير شهامة العربى القديم ، وفروسية الفارس ..

وهو — دائما — باسم الثغر ، مضحكا وضاحكا ، فيه مروءة القروى حين يخلص .

عرفته أيام فقره ، وأيام غناه فلم يختلف عندى ، وعرفته فى صحته ومرضة فلم يتغير ، وعرفته محبا وعاشقا ، وكارها قالبا فلم يتبدل .

كانت فلسفته التى عاش بها الإقبال على الحياة ، واقتناص ما تسمح به والثورة فى حدود القدرة ، وتجميل ما يقبح من الدنيا ، والاستمتاع بكل شىء .

يقول الحلوجى مؤكدا هذه النظرة :ـ وهو يحاكى فى شعره شعراء المهجر الشمالى فى قصيدته «فلسفة شاعر» :

عندما يهتز للنجوى حنينى سأغنى
وإذا ما فاض دمعى من عيونى سأغنى
وإذا تشدو بأعماقى ذاتى سأغنى
وإذا ابيضت أو اسودت حياتى سأغنى
اننى ما جئت هذا الكون إلا لأغنى

وكان قادرا على أن يقول غزلا فى كثيرات فيه إبهام وصنعة ولم يكن به صدق عاطفة ، ولا معاناة حقيقية ، وحين أحب (ف . ح قال فيها من قصيدة «بسمة الحياة» :

اليوم أهلا بالحياة فاللحن عاد إلى الشفاه
وتبسمت دنياى والأ مل الحبيب بدت رؤاه

وكتب قصائد كثيرة للسيدة «ر . م» ومنها تلك القصيدة التى كان يحب إنشادها ، ويعجب بها والتى مطلعها :

تألق تألق يا حلوة التأنق

ونشر بعض شعره الغزلى هذا فى مجلة الثقافة ، وأمواج . وصباح الخير ، وحين تزوج وأنجب طفلتين كان أبا برا ، ووالدا حدبا ، يحبهما الحب كله ، وكم رأيته يحمل طفلته الكبيرة «أمل» . فوق كتفه ـ شأن الفلاحين ويسير بها فى الشقة أو الشارع ، ويتحدث إليها ـ أحيانا ـ كأنها امرأة تفهم ويعرب لها عن أشياء كنت أزور عنها ، ويبثها مشاعره ولواعجه حتى لتحتار

أبهما الطفل ، فهل كان ذلك عن إحساس يقرب الموت ، فهو يكلمها فى جميع مراحل حياتها قبل أن تأتى ؟ أم أنه الشاعر الذى يجمع الزمن كله فى لحظة مكثفة ومركزة ؟ . أما ابنته الصغيرة (هند) فقد تركها وعمرها ستة أشهر .

وكان باحثا جادا يمتاز بالدأب والصبر ، ويكفى فى ذلك شهادة أساتذتنا د. محمد زكى العشماوى ود. محمد مصطفى هدارة ، ود. محمد زغلول سلام ود. حلمى مرزوق .

كنا زميلين فى السنة التمهيدية للماجستير بآداب الاسكندرية ، فكان أنموذجا للطالب المجد ، لا يتأخر عن درسه ، ولا يبدى انصرافا أو انشغالا عن استاذه ، وله فى ذلك نوادر .

فالدكتور محمد زغلول سلام يدرس لنا مادة «مخطوطات» ويذهب بنا إلى قسم الأصوات أو «الصوتيات» بالكلية حيث الأجهزة العلمية . ويطلب من الطلبة القراءة فيخفق الواحد تلو الآخر ، وكان من بينهم المعيد والمتفوق ولم يكن يرضى عن قراءة أحد غير قراءة عبد الحق رحمه الله ، وكاتب هذه السطور . فكنا لا نخطىء فى النحو ، أو الصرف ، ونتنبه للتصحيف والخرم وعيوب المخطوطة ونكمل ما فى الأبيات من نقص أو خلل عروضى .

وأما استاذنا الدكتور محمد طه الحاجرى - مدالله فى عمره - فكان يقرأ معنا الكامل فى اللغة والأدب . لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، فكان يرضى عنا ، وإذا ورد اسم علم كالتوزى ، أو الأخفش مثلا . سأل عنه وعادة ما كان يسأل غير الحلوجى وصاحبه :

وفى تسجيله للماجستير كان استاذنا الدكتور محمد زكى العشماوى يحب

أن يعمل معه . وقد حدثه أمامى وعرض عليه بعض الموضوعات ، فى أن سمع د. غازى بذلك حتى ثار وهاج . وأصر على أن يسجل معه الحلوجى وحرصا على مصلحة الطالب تنازل الدكتور العشماوى وتركه للدكتور غازى الذى لم يقده فى شىء ، وأخره .

وذلك ما دفعه إلى اهتبال فرصة سنحت له للالتحاق بالجامعة الأمريكية فى اعداد الماجستير بإشراف مشترك ، وكان أستاذه فى الجامعة الأمريكية د. محمد النويهى – رحمه الله – ثم د. حمدى السكوت ، وأما الذى أشرف عليه من الاسكندرية فالدكتور غازى وكان الحلوجى يتبرم من ذلك فلما أراد الله به خيرا وأشرف عليه أستاذنا الدكتور محمد مصطفى هدارة اغتبط ورضى وكف عن الشكوى .

وقد أعد رسالته ، وأكملها وهى عن الأساطير فى الشعر الجاهلى . وهى مكتوبة باللغة الانجليزية ، وقد أجازها أساتذة وكادت أن تناقش ، لولا المنية والرسالة فى بيت الحلوجى تنتظر من يترجمها . أو ينشرها وفاء . ونفعا .

ثالثا : مأساته :

عاش الحلوجى مأساة الفقر ، فالحرمان فالمرض . ومن عبث الأقدار أنه حين مرض وسع الله عليه فى رزقه ، فأصبح على جانب من الثراء واشترى سيارة ، وغير ثوبه ، ولكن المرض رصد له ، يرقبه عن كثب . وقد عبر الحلوجى فى شعره عن هذا التغيير الظاهرى فى حياته ، ووصفه بالقناع الذى يخفى الحقيقة .

يقول فى قصيدته «القناع» :

غيرت من وجهـى وهيئـاتى   وسترت قبحـى بابتسامـاتى

وخلعت أثوابى التى عرفت . ولبست أثوابا جديدات
ومشيت بين الناس مفتخرا . بملابسى ، وجديد عاداتى

وكيف لا يفخر ، وهو الذى غير كل شىء يتصل به . فقد غير من أنماط حياته فبعد أن كان يعمل فى الشركة الشرقية للكتان بالرأس السوداء ، صار معيدا فى كلية الآداب ، وبعد أن كان يجالس العمال والسوقة ، غدا يجالس أهل الفكر والأدب فى مصر وبعد أن كان محدود الأمل ، صار عريض الأمل فى شاوع الحياة ، وبعد أن كانت ثيابه ذات نظام واحد ، غدا يجنح إلى الأناقة ، ويهتم بهندامه ومظهره ، وينفق ببذخ على هيئته .

ومن هنا فحق له أن يتيه بجديد ما اكتسب ، ويزهو بالطريف من المقتنيات وقد صدق حين قال :

ومشيت بين الناس مفتخرا . بملابسى ، وجديد عاداتى

وكنت ألازمه قبل ذهابه إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ملازمة شبه تامة ، فكان غداؤنا فى مطعم متواضع جدا ، وفجأة غدا يصطحبنى إلى أشهر سماك فى الاسكندرية ، ويطلب كمية كبيرة ، ويحرص على أن يدفع الثمن . فهالنى ما رأيت ، فقلت من قصيدة طويلة مداعبا له :

تسمك «عبد الحق» فى كل أكلة . وأصبح بعد المش يأكل «جنبرى»
ويطلب «مرجانا» . وأسماء مالنا . بها صلة ، إلا رواية مخبر
ويدفع بقشيشا ، ويضحك عاليا . ويأكل تفاحا ، وللناس يزدرى
ويجلس فى تيه — على غير عاده . ويزعم أن التيه من صفة الثرى

وفى القصيدة أبيات لاذعة ، فوثب ضاحكا ، وقال : حسبك . فقلت له : يا مولانا . أنت فلاح مثلى . والفلاحون لا يحبون السمك هذا الحب ،

فقال : إذا كان ولابد فأعلم يا صديقى أننى أكثر من أكل السمك لأن الطبيب نصحنى بالإكثار منه ، إذ هو أسهل مساغا ، وأيسر على معدتى .

وكان — حينئذ — رحمه الله قد تليفت كليته تماما وبدأ المرض الخبيث يهاجم فى شراسة وقسوة الكلية الثانية ، فسكت وأسفت .

وقد صور شعره مأساته ، وعبر صادقا عن نفسه ، وناهيك به من صادق حين يقول عن نفسه :

أمانيـــه أكـــبر مـــن عمـــــره ويحـــى غريبـا ، كثـير الخيـال
يرى النـــور بـــين عيون الدجى ويبصر فى القفر وجـــه الجمـال

والحلوجى كان محبا لليل لأنه خدين همومه ، ومرسى أحزانه ، حيث تهدأ الحركة ، ويخلد الجسد المنهك إلى الراحة ، فتنساب الخواطر ، وتنثال المواجس .

أيهـذا الليـل ، يا حلـو الـرؤى أنت لى بالأرض سلوى وعـزاء
كلمـا جئتـك أشكو شقـوتى تتلقــانى لقـــاء الرحمـــاء

وهو ذو نظرة عميقة ، لا تقف عن الظاهر ، ولكنها تنفذ إلى الأعماق الاعماق المتوارية خلف الشيات والسمات ، والمظاهر الخادعة الكاذبة :

فـلا فـرق بـين الدجـى والضيـاء ووجـــه قبيـح ، ووجـه جميـل
فريـــح الصبـاح ، وريـــح المساء تقبـل وجـــه الـثرى والنخيـل

وهذا الاحساس كان مسيطرا عليه ، فهو لا يفرق بين الأشياء تفرقة تافهة ولا يتقيد بشىء فى حياته إلا تقيد الفائدة ، والجلوى ، وهذا أباح له ضربا من الحرية ما كان ليتاح للداته من الذين ارتبطوا بأشياء لا يراها ذات

حرمة ، فهو يتمرد على أغلال الأسر أنى كان ، ويقفز على حواجز الزمن وإن شمخت ، ويسمو فوق نزغات الشر وإن راقت ، ويتطهر من أدران الإثم وإن عاد إليه .

وأنـا كعصفـور أطــير هنـا   وهنـاك بـين العشب والنهر
وأهـيم روحـا فى الـربى طلقا   متحـرروا مـن ظلمـة الأسـر

وكيف يحقق ذلك ، والمرض رصد له ، والهم ينتابه ، والآلام محدقة به والأطباء يقولون إنها أيام ؟ . فما به لا يدعه يخلد إلى راحة ، ولا يركن لمهادنة ومن هنا كانت الحيرة ، والقلق ، والضيق ، والثورة ، والايمان ، والعبث :

وأنـا رهـين اليـأس مضطـربا   يعلو الردي والزعر فى أثـرى
حـيران لا أدرى بـلا أمــل   كالطير إذ أضحت بـلا وكـر
أمشي وئيـدا مطـرقا ، قلقــا   تتصـارع الآمـال فى صـدرى

وعسير على فتى فى مقتبل عمره ، واسع الأمل ، ثرى الطموح ، أن يرى آماله ذابلة ، وطموحه هباء .

وكم كان يخفى لواعجه بما يبدى من ابتسامة ، وما ينشغل فيه من العمل الجاد ، وهو حزين جد حزين ، لا يفضى بسره إلا لخلصائه ، وقليل ما هم ولم يجد غير شعره يسكب فيه حزنه ، ويضمنه ما تنوء به النفس من هموم ثقال فهو يحرث فى البحر ، ويقبض الريح ، ويحصد الهشيم ، ونفسه جد حائرة :

والنفس حيرى بـين أمس ذاهب   وغـد خـلـى مبهـم مكنـون

والقلب يأسو جرحه ، وهمومه بأنينه المسترسل المحزون
والداء فى صدرى يمزق مهجتى ويثير اعيائى ، ونار شجونى

وحين تصطلح عليه الهموم ، وتلتف حوله المأساة فى عتو وجسارة لا يجد غير دمعه مواسيا ، ويقول التى تحاول أن تجفف دمعه :

ولترحمى قلبى الجريح فإننى لا شىء بين يدى غير دموعى

وهيهات لامرىء — وإن كان جلدا — أن ينتصر على مرض لعين فصرعه المرض فذوى عوده ، ونضب شبابه ، وشحب وجهه ، وأربد جبينه ، وبدت ملامح الكهولة تغزوه ، وسمات الارهاق تلوح عليه ، والاستكانة ترغمه . يقول الحلوجى :

أبدا سأحيا شاحب الوجنات ، مربد الجبين
مغرورق العينين بالعبرات بالشجو الدفين
وكأننى رغم الصبا كهل تطارده السنين

والصواب السنون . لأنه ملحق بجمع المذكر السالم . وقد نبهته إلى ذلك فى حياته فقال : إننى أحس بها هكذا . ؟ . فقلت : الاحساس لا يكون فى الرفع أو النصب ، فلابد من الصحة . (صحة النحو) يا مولانا . ثم أن الواو لا بأس بها مع الياء فى قافية كقافيتك . فقال : اسمع . دعها فلا أحد يقرأ ، وإذا قرأ لا يتثبت .

وهذه الحال التى آل إليها قضت مضجعه . ودفعته إلى النفور وعدم الاستقرار فكان ملولا عصبيا ، لا يخلد لراحة ، ولا يذهب إلى البيت إلا لماما . فالماضى برغم قساوته كان يحمل أملا ، والحاضر بكآبته يطفىء شموعه ويسيل دموعه ، يقول الحلوجى :

كانت الدنيـا ابتسـاما ورضيا ماهلـا أمست دموعا وشجـون

ولا غرو أن يضيق ذرعا بالحياة وما فيها ، فتمنى الموت ، إذ هو مخلصه ومنقذه وواضع حدا لآلامه وعذابه ، وحسبك بشاعر شاب يبصر عن كثب منيته ويحمل فى جسده وفاته ، فهو يخاطب ربة الموت فى وداعة قائلا :

يا ربة المـوت هـات حتـفى ، وكأس ممـاتى
وأسـرعى يـا منـايا ولا تطبـلى شطـاتى
هفـوت للمـوت حتى كأنـه أمنيـاتى .

وتذكرنا مرة الموت ، فقال ليكتب كلانا قصيدة ، وكنا نتذكر أبيات المازنى التى نقلها عن شاعر غربى :

أيهـا الزائـر قـبرى اتـل ما خـط أمـامك
هـذه فاعـلم عظـامى ليتها كـانت عظـامك .

فقلت من قصيدة :

إذا مـا زرت قـبرى بعد موتى فكـن وجـلا رحيما بالفرات
وقـل يـا قـبر لا تسحق نزيـلا ثوى يا قـبر فى وكـن الممات

فقال لى . أنت لا تجيد هذا الفن ، لأنك لا تحس الموت الآن ، فأسمع منى وقال هذه وصيتى إليك :

فـتى إذا المـوت يوما دنـا وأعمـل بالجسم نـاب الفنا
فلا تبكـى مـا أنـا ميـت فهذى رفاتى وليست أنـا
أنـا طائـر طـار عن سجنـه لهيفا إلى النـور يبـقى السنا
جناحـاه شـوق إلى بـارئى وفيـض حنيـنى لـدار المـنى

ولعل من أصدق شعره تلك القصيدة التى نشرها فى مجلة أمواج السكندرية وكان عنوانها «قررت أن أموت» .(١)

يا ليلى .. يا غضب انصب علينـــا
ها أنا آت .. ونزيف الذلــة لا يتوقف
أجثو فـــوق ثـــرى أقدامك استرضيك
آت تشرب من دمى الــدافىء ما يرضيك
يا غضب الله . . . انصب علينا . . . !!
جئتك يا ليلى . . . يا غضب الله العاتى
جئتك يا مأساتى .
محنيـــا ، منهـــزما
لكـــن الدمعـــة لم تسقـــط ألمـــا
ولسوف يوافيـــك غـــدا سكين الفجـــر
يفرغ ماالاكته ينوبك من لحم الانسان.

ومن الظلم للحلوجى أن نجعل شعره كله تغنيا فى مأساته فله شعر فى الغزل وشعر طريف فى الهجاء اشترك معه فى قرضه صديقنا الشاعر الدكتور فوزى أمين ، ولهما شعر جيد أداء وطريقة يكشف عن سوءات عصر دعى قمىء ، ولكن الظروف الاجتماعية حالت دون نشره أو إذاعته إلا اعتمادا على الذاكرة وهى خئون ملول . وشعر الحلوجى يحتاج إلى أمرين :

أولا : جمعه فمنه ما هو منشور فى بعض الدوريات ، ومنه المخطوط عند أهله . ومما يؤسف له أن الصديق الدكتور محمود نحلة أخذ نسخة تامة

---

(١) أمواج يوليو ١٩٧٦ م ص ١١٤ .

من شعره قبل سفره إلى ألمانيا ، وأعطاها لمستشرق فرنسى ، ثم ضاعت النسخة ، وليس بين يدى أهله نسخة أخرى ، وهذا يحتاج إلى مثابرة واهتمام

ثانيا : دراسته — يحتاج شعر الحلوجى إلى دراسة تكشف عن عالمه الجمالى والبلاغى ، ومصادره اللغوية والتراثية ، وتضعه بين شعرائنا المعاصرين

فالحلوجى نموذج للشاب المصرى فى طموحه ، وتطلعه وصبره ، وتماسكه ومأساته ، وهو موهبة بالمقاييس الفنية ، دراس مخلص وباحث جاد ، وانسان فى زمن غير انسان .